وَكَـيْـفَ أَكْـفُـرُ يَـا كَـافُـورُ نِـعْـمَـتَـهَـا
وَقَـدْ بَـلَـغْـنَـكَ بِـي يَـا كُـلَّ مَـطْـلـوبـي (١)
يَـا أَيُّـهَـا الـمَـلِـكُ الْـغَـانِـي بِـتَـسْـمِـيـةٍ
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ (٢)
أَنْـتَ الْـحَـبِـيـبُ وَلَـكِـنِّـي أَعُـوذُ بِـهِ
مِـنْ أَنْ أَكُـونَ مُـحِـبًّـا غَـيْـرَ مَـحْـبُـوبِ (٣)

كل مكان ينبت العز طيب

يمدحه في شوال سنة سبع وأربعين وثلاث مئة (٩٥٨ م):

[الطويل]

أُغَـالِـبُ فِـيـكَ الـشَّـوْقَ وَالـشَّـوْقُ أَغْـلَـبُ
وَأَعْـجَـبُ مِـنْ ذَا الـهـجْـرِ وَالْـوَصْـلُ أَعْـجَـبُ (٤)
أَمَـا تَـغْـلَـطُ الأَيَّـامُ فِـيَّ بِـأَنْ أَرَى
بَـغِـيـضـاً تُـنَـائِـي أَوْ حَـبِـيـبـاً تُـقَـرِّبُ (٥)

(١) يقرّ الشاعر أنه لن يُنكر النعمة التي قدمتها خيوله، فقد أعانته على إدراك مناه وأوصلته إلى مطلوبه.

(٢) الغاني: المستكفي. يخاطب الشاعر الملك بأنه مشهور باسمه شرقاً وغرباً، وهو غني عن كلّ وصف، وهو لا يحتاج لأي لقب.

(٣) ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ١٤٧. يخاطب الشاعر كافوراً معلناً حبّه له، وهو يتمنى على الملك أن يُبادله حبًّا بحبّ، وهذا ما يفرحه ويُثلج صدره.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥٩. يُخاطب الشاعر ممدوحه كاشفاً معاناته؛ إنها مغالبة وجدانية، مغالبة بين الحبّ الصادق المخلص للممدوح، والممدوح لا يعير أدنى اهتمام لشاعره، والهجر هنا معنوي، فكلّ منهما يلتقي صاحبه، فالجفاء من قبل الممدوح، والشوق من قبل الشاعر الذي يُعاني حالة صراع مع ممدوحه ومع ذاته، وهو يستعين بصبره عسى أن تزول تلك الجفوة بينهما، وعماد صبره حبّ مخلص صادق.

(٥) ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣١٥، الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٧. التنائي: البعد. يرى الشاعر أن الزمن يعمل بخلاف ما يريد، إنه يعمل على تقريب من يكرهه إلى ممدوحه، وإبعاده، لذا يتساءل إن كان بإمكان الزمن قلب تلك =

وَلِلَّهِ سَيْرِي مَا أَقَلَّ تَئِيَّةً
عَشِيَّةَ شَرْقِيّ الْحَدَالَى وَغُرَّبُ (١)
عَشِيَّةَ أَحْفَى النَّاسِ بِي مَنْ جَفَوْتُهُ
وَأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الَّتِي أَتَجَنَّبُ (٢)
وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ
تُخَبِّرُ أَنَّ المَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ (٣)
وَقَاكَ رَدَى الأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمِ
وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ المُحَجَّبُ (٤)
وَيَوْمٍ كَلَيْلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ
أُرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ (٥)

= المعادلة فيقربه من ممدوحه ويبعد أعداءه عن ممدوحه، فيخلو له جوّ المحبّة فتعود المياه إلى مجاريها.

(١) التئية: المكوث في المكان والبقاء فيه. الحدالى: موضع بالشام. غرّب: جبل: أحد جبال الشام. يعجب الشاعر من سرعة رحلته تاركاً وراءه حلب ومن فيها، فإذا بالأرض تنطوي بسرعة، وهو لا يستكين بمكان مارًّا بالحدالى وغرّب.

(٢) يقصد بأحفى الناس: سيف الدولة. جفا: بعُد مغاضباً. كان ذلك عشية رحلة اللاعودة إلى من أحسن استقبال الشاعر، ووضعه بالمكان اللائق به، وعلى مفرق الطرق كان حوار داخلي بين الشاعر وذاته فهل يرجع إلى مكرمه أم يتابع رحلة الهروب إلى المجهول. إنه القرار الصعب.

(٣) المانوية: أصحاب ماني الزردشتي الذي يقول بأن النور هو الخير كله وبأن الظلمة الوجه المعاكس للنور وتتمثل به الظلمة، يُناقش الشاعر ما عليه من عزم بنظرة سوداوية تشاؤمية، مفضلاً الظلمة على النور، مؤكداً بأن المانويين يكذبون بادعائهم بأن الظلمة يتمثل فيها الشرّ.

(٤) الردى: الموت، السُّرى: سير الليل. والسبب في أن الشاعر آمن بتلك النظرية أن الظلمة حجبته عن أعين الأعداء وأعانته على تحقيق مبتغاه. إنها نظرة تنمّ عن لؤم طبع الشاعر، فقد جعل معشر سيف الدولة أعداءً وقد عايشهم واستفاد من سيف الدولة مالاً وجاهاً وصيتاً حسناً. وقد زاره طيف أحلامه مشجعاً إيّاه على التمادي بهروبه إلى قدره الذي يرى فيه تحقيق آماله.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٨. يصوّر الشاعر حالة الخوف =

وَعَـيْـنِـي إِلَـى أُذْنَـيْ أَغَـرَّ كَـأَنَّـهُ
مِـنَ الـلَّـيْـلِ بَـاقٍ بَـيْـنَ عَـيْـنَـيْـهِ كَـوكَـبُ (١)
لَـهُ فَـضْـلَـةٌ عَـنْ جِـسْـمِـهِ فِـي إِهَـابِـهِ
تَـجِـيءُ عَـلَـى صَـدْرٍ رَحِـيـبٍ وَتَـذْهَـبُ (٢)
شَـقَـقْـت بِـهِ الـظَّـلْـمَـاءَ أُذْنِـي عِـنَـانَـهُ
فَـيَـطْـغَـى وَأُرْخِـيـهِ مِـرَاراً فَـيَـلْـعَـبُ (٣)
وَأَصْـرَعُ أَيَّ الْـوَحْـشِ قَـفَّـيْـتُـهُ بِـهِ
وَأَنْـزِلُ عَـنْـهُ مِـثْـلَـهُ حِـيـنَ أَرْكَـبُ (٤)
وَمَـا الْـخَـيْـلُ إِلَّا كَـالْـصَّـدِيـقِ قَـلِـيـلَـةٌ
وَإِنْ كَـثُـرَتْ فِـي عَـيْـنِ مَـنْ لَا يُـجَـرِّبُ (٥)

= التي كان يُعاني منها. لقد استتر عن العيون ذلك اليوم، فإذا بذلك اليوم لا يبدو كسائر الأيام؛ إنه يوم طويل كليل العاشقين المحرومين طويل طويل، حيث يتطلّع إلى نهاية يوم غير مرغوب به على أمل أن يستر الليل مسعاه.

(١) وردت الأبيات الستة التالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٨. الأغرّ: الفرس الأبيض الجبهة. ولشدّة حذر الشاعر فقد استعان بجواده، مركزاً على أذنيه؛ ذلك أن الفرس شديد السمع، وإذا ما سمع ما يُخيفه نصب أذنيه فيتنبه فارسه ويحتاط للأمر، ويتماهى لون الجواد مع سواد الليل البهيم، ولكن عينيه تضيئان وكأنهما كوكبان ينيران أمام فارسه طريق رحلته.

(٢) الإهاب: الجلد. رحيب: واسع. يصف الشاعر فرسه؛ إنه رحيب الإهاب، تتسع خطواته، فيطوي المسافات. ومن حسنات إهابه الفضفاض أنه يسمح له أن يسبح بحرّية، فتجيء وتذهب على صدره الرحيب.

(٣) العِنان: سير اللجام. يصف الشاعر سير الفرس؛ فقد مزّق ظلمة الليل ووحشته، وطوراً يدني لجامه ويجذبه إليه فيثب نشيطاً مرحاً، وفي حال أرخى له لجامه لعب برأسه فرحاً مرحاً.

(٤) قفيته: لحقته. وذلك الفرس يُشارك سيده الصيد، إنه سريع يُعين على قتل الوحش الضاري بسرعته وطواعيته لسيده، وفي كلا الحالين، أي بعد الانتهاء من الصيد والترجّل عنه أو ركوبه، فهو يحتفظ بحيويته ونشاطه.

(٥) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢: ٣١٣. يبدي المتنبي رأيه بأن الجياد التي تمتاز =

إِذَا لَـمْ تُـشَـاهِـدْ غَـيْـرَ حُـسْـنِ شِـيَـاتِـهَـا
وَأَعْـضَـائِـهَـا فَـالْـحُـسْـنُ عَـنْـكَ مُـغَـيَّـبُ (١)
لَـحَـى الـلَّـهُ ذِي الـدُّنْـيَـا مُـنَـاخـاً لِـرَاكِـبٍ
فَـكُـلُّ بَـعِـيـدِ الْـهَـمِّ فِـيـهَـا مُـعَـذَّبُ (٢)
أَلَا لَـيْـتَ شِـعْـرِي هَـلْ أَقُـولُ قَـصِـيـدَةً
فَـلَا أَشْـتَـكِـي فِـيـهَـا وَلَا أَتَـعَـتَّـبُ (٣)
وَبِـي مَـا يَـذُودُ الـشِّـعْـرَ عَـنِّـي أَقَـلُّـهُ
وَلَـكِـنَّ قَـلْـبِـي يَـا ابْـنَـةَ الْـقَـوْمِ قُـلَّـبُ (٤)
وَأَخْـلَاقُ كَـافُـورٍ إِذَا شِـئْـتُ مَـدْحَـهُ
وَإِنْ لَـمْ أَشَـأْ تُـمْـلِـي عَـلَـيَّ وَأَكْـتُـبُ (٥)

= بحسن المودة والإخلاص نادرة. تكتشف حقيقة أمرها بالمصاحبة الدائمة، شأنها في ذلك شأن الأصدقاء الحقيقيين، تكتشف طبيعتهم وقت الشدائد، ومن هنا كانوا من الندرة بمكان.

(١) ورد البيت في: أسرار البلاغة، للجرجاني: ١٣. يرى الشاعر أن تعدّد ألوان الخيل وشدّة جريها مزيّة تثير إعجاب البشر، ولكن ذلك غير كافٍ، فثمّة مزايا عظيمة قوامها الإخلاص لفرسانها، وقيامها بما يُطلب منها في الأزمات.

(٢) لحى: دعا. يدعو الشاعر على الدنيا ويذم حالها؛ فإنها لا يدوم صفاؤها للبشر في رحلة الحياة، والإنسان كراكب يُنيخ راحلته، ثم يرحل مخلفاً وراءه أحلامه التي لم يُحقق منها إلّا النزر اليسير، وخصوصاً من كانت آمالهم عظيمة كبيرة.

(٣) يتمنى الشاعر لو يتخلّى عن شكواه من الدهر وذمّه في شعره، فقد أصبح ذلك ديدنه في كل ما ينشد؛ إنه يرغب في أن يبلّغه آماله وأحلامه ليرضى فيتوقّف عن هذه العادة.

(٤) يذود: يمنع ويدفع. قلبي قلّب: خبير بتغيّر الأحوال. لقد نزل بساحة الشاعر من المصائب والويلات ما يحول بينه وبين قول النزر من الشعر، ورغم ذلك لا يمنع قلبه المتفتح من قول الشعر رغم العثرات؛ إنها عابرة في حياة العظماء.

(٥) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢: ٣٥١. بعد هذه المقدمة المفعمة بالتشاؤم ولوم الدهر يتخلّص الشاعر إلى مدح كافور؛ فأخلاقه ومزاياه تقتضي من الشاعر وتلزمه أن يذكر محاسنه، فمن معينه يستلهم أفكاره، لذا فهو يمدحه بما هو فيه، شاء ذلك أو لم يشأ.

إِذَا تَـــرَكَ الْإِنْـــسَـــانُ أَهْـــلاً وَرَاءَهُ
وَيَـمَّـمَ كَـافُـوراً فـمـا يَـتَـغَـرَّبُ (١)
فَـتًـى يَـمْـلأُ الْأَفْـعَـالَ رَأْيـاً وَحِـكْـمَـةً
وَنَـادِرَةً أَحْـيَـانَ يَـرْضَـى وَيَـغْـضَـبُ (٢)
إِذَا ضَـرَبَـتْ فِـي الْـحَـرْبِ بـالـسَّـيـفِ كَـفُّـهُ
تَـبَـيَّـنْـتَ أَنَّ الـسَّـيْـفَ بـالْـكَـفِّ يَـضْـرِبُ (٣)
تَـزِيـدُ عَـطَـايَـاهُ عَـلَـى الـلَّـبْـثِ كَـثْـرَةً
وَتَـلْـبَـثُ أَمْـوَاهُ الـسَّـحَـابِ فَـتَـنْـضُـبُ (٤)
أَبَـا الـمِـسْـكِ هَـلْ فِـي الْـكَـأْسِ فَـضْـلٌ أَنَـالُـهُ
فَـإِنِّـي أُغَـنَّـي مُـنْـذُ حِـيـنٍ وَتَـشْـرَبُ (٥)
وَهَـبْـتَ عَـلَـى مِـقْـدَارِ كَـفَّـيْ زَمَـانِـنَـا
وَنَـفْـسِـي عَـلَـى مِـقْـدَارِ كَـفَّـيْـكَ تَـطْـلُـبُ (٦)

---

(١) يـمّم: توجّه، قصد. لم يشعر الشاعر بالغربة في كنف كافور، فقد ترك الأهل والأحباب، فإذا به يجد نفسه بين أحبّة، أحسنوا استقباله فكأنه لم يغترب.

(٢) النادر: الغريب، شرع الشاعر يمدح كافوراً، إنه فتى كامل الفتوّة، قوامها عقل راجح ورأي سديد وفعل رزين، ويرشده عقله إلى مكارم الأخلاق فلا يتسرّع بالحكم ولا يغضب؛ فالعفو ملكة لديه رغم قدرته.

(٣) إن كافوراً قوي الساعد، فالسيف يعمل بإرادته حتى ولو كان غير ماض، وبقوّته يستظهر ويقوى على الفتك، فمهما كان السيف ماضياً وحامله ضعيف، فإنه لا يعمل بذاته بل بقوّة حامله.

(٤) اللبث: البقاء. نضب الماء: جفّ وذهب في الأرض. ومن صفات كافور أنه كريم معطاء تتوالى هباته فلا تنفد. بينما تمطر السحب الماء الذي سرعان ما يغور بالأرض ويذهب جفاءً، فيموت الزرع ويجفّ.

(٥) و (٦) يخاطب الشاعر كافوراً؛ إنه أبو المسك، الطيب العبق، منوّهاً بما قدّمه لممدوحه فقد تغنّى بفضائله فأطربه ورواه من فيض نبع شعره، وكأسه مترعة، ويسأله إذا كان لديه فضلة شربها، وهو لا يزال ينتظر ما حمله على المجيء إليه من توليه ولاية، ولقد حصل الشاعر على مقدار ما جاد به الزمن، ولكن الشاعر يأمل أن =

إذا لَـمْ تَـنُـطْ بِـي ضَـيْـعَـةً أَوْ وِلَايَـةً
فَـجُـودُكَ يَـكْـسُـونِـي وَشُـغْـلُـكَ يَـسْـلُـبُ (١)
يُـضَـاحِـكُ فِـي ذَا الْـعِـيـدِ كُـلُّ حَـبِـيـبَـهُ
حِـذَائِـي وَأَبْـكِـي مَـنْ أُحِـبُّ وَأَنـدُبُ (٢)
أَحِـنُّ إِلَـى أَهْـلِـي وَأَهْـوَى لِـقَـاءَهُـمْ
وَأَيْـنَ مِـنَ الْـمُـشْـتَـاقِ عَـنْـقَـاءُ مُـغْـرِبُ (٣)
فَـإِنْ لَـمْ يَـكُـنْ إِلَّا أَبُـو الْـمِـسْـكِ أَوْ هُـمُ
فَـإِنَّـكَ أَحْـلَـى فِـي فُـؤَادِي وَأَعْـذَبُ (٤)
وَكُـلُّ امْـرِىءٍ يُـولِـي الْـجَـمِـيـلَ مُـحَـبَّـبٌ
وَكُـلُّ مَـكَـانٍ يُـنْـبِـتُ الْـعِـزَّ طَـيِّـبُ (٥)
يُـرِيـدُ بِـكَ الْـحُـسَّـادُ مَـا الـلَّـهُ دَافِـعٌ
وَسُـمْـرُ الْـعَـوَالِـي وَالْـحَـدِيـدُ الْـمُـذَرَّبُ (٦)

= يحصل على مقدار كرم ممدوحه، وذلك بيده، وهو سهل عليه.

(١) تنط: تفوّض. دفع الإلحاح الشاعر إلى التصريح بما يبغيه من كافور؛ إنها الولاية، فإن لم يستجب لرجائه، فقد سبق جوده أن أغناه، ومن جميل الفضل أن يتمّ، وإلّا فإن ذلك يعني أن كافوراً بإهماله يسلبه كل ما قدّم وتضيع آماله وتذهب سدى.

(٢) ينظر الشاعر حواليه، فيرى الناس فرحين مسرورين، إنه العيد يحمل المسرّة والبشرى للبشر، أما الشاعر فإنه يشعر بالغربة، فلا قريب ولا حبيب. وما يخفف عنه شدّة وطأة هذا الإحساس ولاية تدخل عليه سعادة تنسيه أحزانه وتُعيد البسمة إليه، فلا يبكي غربته.

(٣) العنقاء: طائر خرافي. ما يثير الشفقة أن الشاعر يذكر غربته وشدّة حنينه إلى أهله، وهو يودّ لقاءهم. وفي ذلك تحذير مبطّن من أن الشاعر قد يرحل عن كافور في حال خيبة أمله، ولكن عدم تحقيق أمنيّته وبعده عن أهله يحملانه على الإحساس بالمرارة.

(٤) يعلن الشاعر عن أمنيّته الاجتماع بأهله إلى جانب كنف كافور، وذلك بعيد المنال، لذا فهو يرى قربه من ممدوحه عذباً ولقاءه أجدى وأنفع ممّا يخفف عنه وحشة الغربة.

(٥) ورد البيت في دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣٠٠. ويردف الشاعر أن ما حصل عليه من أفضال كافور محبب إلى نفسه، لذا فهو يُعول على الإقامة عنده؛ فكلّ بيت ينبت العزّ تطيب الإقامة فيه.

(٦) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٨. إنها رعاية اللّه تعالى تحميك =

وَدُونَ الَّـذِي يَـبْـغُـونَ مَـا لَـوْ تَـخَـلَّـصُـوا
إِلَـى الـمَـوْتِ مِـنْـهُ عِـشْـتَ وَالـطِّـفْـلُ أَشْـيَـبُ[١]
إِذَا طَـلَـبُـوا جَـدْوَاكَ أُعْـطُـوا وَحُـكِّـمُـوا
وَإِنْ طَـلَـبُـوا الْـفَـضْـلَ الَّـذِي فِـيـكَ خُـيِّـبُـوا[٢]
وَلَـوْ جَـازَ أَنْ يَـحْـوُوا عُـلَاكَ وَهَـبْـتَـهَـا
وَلٰـكِـنْ مِـنَ الْأَشْـيَـاءِ مَـا لَـيْـسَ يُـوهَـبُ[٣]
وَأَظْـلَـمُ أَهْـلِ الـظُّـلْـمِ مَـنْ بَـاتَ حَـاسِـداً
لِـمَـنْ بَـاتَ فِـي نَـعْـمَـائِـهِ يَـتَـقَـلَّـبُ[٤]
وَأَنْـتَ الَّـذِي رَبَّـيْـتَ ذَا الـمُـلْـكِ مُـرْضَـعـاً
وَلَـيْـسَ لَـهُ أُمٌّ سِـوَاكَ وَلَا أُبُ[٥]
وَكُـنْـتَ لَـهُ لَـيْـثَ الْـعَـرِيـنِ لِـشِـبْـلِـهِ
وَمَـا لَـكَ إِلَّا الْـهِـنْـدُوَانِـيُّ مِـخْـلَـبُ[٦]

= رغم كيد الحسّاد الذين يريدون بك سوءًا، وما يحول دون مقصدهم همتك وجندك المدججون بالسلاح المحدّد والمثقّف.

(١) ويُعقب الشاعر بأن الراغبين بزوال ملك كافور لن يُفلحوا في مبتغاهم فدون ما يريدون أهوال تودي بهم إلى الهلكة، والملك سيبقى سليماً معافىً، وهذا ما يجعل أطفالهم شيباً لما يرون من حسن بلائك بأعدائك.

(٢) و (٣) وردت الأبيات التالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٨. جدواك: عطاياك. خيّبوا: خسروا. ينوّه الشاعر بحلم كافور وكرمه، فإنه لا يبخل في حال طلب الحسّاد عطاءً فإنهم يحصلون عليه دون توانٍ وتسويف، وهو يجعل لهم الحكم في ما يطلبون بطواعية، أما أن يطمعوا في فضل آثره اللّه تعالى به دونهم، فهذا لن يتأتى لهم، فذلك لا يكون بالسعي لبلوغه، وإنما يتمّ ذلك برغبة إلهية، ولو عاد الأمر إليك لما توانيت، والحقيقة أن اللّه تعالى يهب الملك لمن يشاء.

(٤) ومن شيم ضعاف النفوس الذين تملّكت في نفوسهم نقيصة الحسد والظلم لمن ينعمون بفضله ويرتعون في نعمائه، فذلك من لؤم طباعهم وخسّة نفوسهم.

(٥) و (٦) ذو الملك: إنه علي بن الأخشيد صاحب مصر، فقد عني به الأخشيد بعد أبيه. ينوّه الشاعر بما فعله كافور، فقد كان لولد الأخشيد بعد وفاة والده بمثابة الأم والأب، فقد حماه وحمى مصر، فكان أسداً يدفع البلاء عن بلاده ويصونه بسيفه =

لَـقِـيـتَ الْـقَـنَـا عَـنْـهُ بِـنَـفْـسٍ كَـرِيـمَـةٍ
إِلَى الـمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنَ الْعَارِ تَهْرُبُ (١)
وَقَـدْ يَـتْـرُكُ الـنَّـفْـسَ الَّـتِـي لَا تَـهَـابُـهُ
وَيَـخْـتَـرِمُ الـنَّـفْـسَ الَّـتِـي تَـتَـهَـيَّـبُ (٢)
وَمَـا عَـدِمَ الـلَّاقُـوكَ بَـأْسـاً وشِـدَّةً
وَلٰـكِـنَّ مَـنْ لَاقَـوْا أَشَـدُّ وَأَنْـجَـبُ (٣)
ثَـنـاهُـمْ وَبَـرْقُ الْـبِـيـضِ فِـي الْـبَـيْـضِ صَـادِقٌ
عَـلَـيْـهِـمْ وَبَـرْقُ الْـبَـيْـضِ فِي الْـبِيضِ خُـلَّـبُ (٤)
سَـلَـلْـتَ سُـيُـوفـاً عَـلَّـمَـتْ كـلَّ خَـاطِـبٍ
عَـلَـى كـلِّ عُـودٍ كَـيـفَ يَـدْعُـو ويَـخْـطُـبُ (٥)
ويُـغْـنِـيـكَ عَـمَّـا يَـنْـسُـبُ الـنَّـاسُ أَنَّـهُ
إِلَـيْـكَ تَـنَـاهَـى الـمَـكْـرُمَـاتُ وتُـنْـسَـبُ (٦)

= المصنوع في بلاد الهند. والعرين: بيت الأسد. الشبل: ولد الأسد.

(١) و (٢) القنا: الرماح. الهيجا، بتخفيف الهمزة: الحرب. ولقد حامى كافور عن طفل سيده فلقي رماح الأعداء بشجاعة نادرة المثال مؤثراً الموت في سبيل الأمانة التي وُكّل بحمايتها ورعايتها، فلم يفرّ مخافة الهلاك، لذا فقد يتنحّى الموت عن طريق من لا يهابه، ويصطفي من يخافه لجبنه فيودي به إلى التهلكة.

(٣) وفي الحقّ أن من تصدّى لهم كافور أقوياء شجعان، ولكن كافوراً أشدّ بأساً منهم، ولذلك فتك بهم وأودى بهم إلى التهلكة.

(٤) البيض: السيوف. البرق الخلّب: الخادع الذي لا يحمل ماءً. لقد عاد أعداء كافور مهزومين؛ فقد كانت سيوفه صادقة الوعد، تسدّدها العزائم، ولم تمنعها عن إتمام مقاصدها الخوذ التي احتمى بها أعداؤه، فإنها لا تمنع من قدر، إنها برق خُلّب كاذب لا رواء فيه ولا ماء.

(٥) لقد كانت سيوف كافور بأعدائه ملهمة لخطباء المساجد أن يدعوا له بالنصر والظفر المؤيّد على منابرهم مثنين على فعاله.

(٦) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٨. يخاطب الشاعر كافوراً بأنه وصل إلى ما وصل إليه بهمة عالية، فحقّق من الأمجاد ما لم يستطع تحقيقه من كان أجداده تنسب إليهم المعالي؛ إنه أصل وإنهم فروع لا قيمة لهم.

وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحِقُّكَ قَدْرُهُ
مَعَدُّ بْنُ عَدْنَانٍ فِدَاكَ وَيَعْرُبُ (١)
وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدْعَةً
لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ (٢)
وَتَعْذُلُنِي فِيكَ الْقَوَافِي وَهِمَّتِي
كَأَنِّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ (٣)
وَلٰكِنَّهُ طَالَ الطَّرِيقُ وَلَمْ أَزَلْ
أُفَتِّشُ عَنْ هَذَا الْكَلامِ وَيُنْهَبُ (٤)
فَشَرَّقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ
وَغَرَّبَ حَتَّى لَيْسَ لِلْغَرْبِ مَغْرِبُ (٥)
إِذَا قُلْتُهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُصُولِهِ
جِدَارٌ مُعَلًّى أَوْ خِبَاءٌ مُطَنَّبُ (٦)

---

(١) ومن زيف كذب الشاعر أنه يرفع قدر كافور؛ فإذا بقدر معد بن عدنان دون قدر ممدوحه، ولذا يدعو له أن يكون سيد العرب فداءه.

(٢) يستشفّ من بين كلمات هذا البيت المرارة التي يُحسّها المتنبي في نفسه ومدى كرهه لكافور، يفرح الشاعر أن يرى في كافور بدعة ومدعاة للسخرية ولقد كانت أمنيّته أن يرى هذا المثال من البشر حتى يفرح ويطرب.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٨. عذل: لام. يخاطب الشاعر كافوراً أن شعره وهمته قد لاماه لأنه قد مدح غيره قبل مدحه؛ فقد كان الأوجب أن يكون ملهمه دون سائر الناس، ولذا فإنه يشعر بالذنب لذلك.

(٤) ومما يدعو الشاعر إلى الاعتذار لكافور لأنه مدح غيره قبل مثوله بين يديه أنه أطال الترحال، وامتدّت الطريق، فكان لا بدّ له من مدح من يمرّ بهم حتى وصل بلاط كافور أخيراً؛ إنها تجارة الكلام ولا بدّ لها من سوق، ولا بدّ له من تزويق الكلام لكي يغتني به.

(٥) و (٦) يفخر الشاعر أن شعره طبّق الآفاق شرقاً وغرباً، فطارت شهرته وانتشر شعره، فتناولته الأسماع، واخترق كلّ الموانع واجتاز الجدران العالية وحتى وصل إلى أسماع الأعراب وهم الذوّاقة العالمون بشتّى فنون القول.